March 2022 (Vol-04 Issue 39) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

صلة الباء على الفعل (أَذَاعُواْ بِهِ) ودلالتها وسرّها

(في ضوء كلام العرب الجاهلي والإسلامي)

د. أورنك زيب الأعظمي

مديرتحرير"مجلة الهند"وأستاذ مساعد،قسم اللغة العربية وآدابها،

الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

Abstract: **Since its revelation the Qur'ān challenged the opponents to bring a copy similar to it, and when they were failed to bring so, the Qur'ān gave another challenge, e.i. to bring ten chapters in Arabic like the Qur'ān's. And when they could not bring the same, the Qur'ān asked them to bring only one chapter like its. Thus the Qur'ān proved to them that it is a heavenly book.**

The Qur'ān is revealed in the most excellent Arabic used in that period and understood by the Arabs of that time. Apart from its contents its language also captured attention of the Arabs, whose stories have been narrated in books related to Qur'ānic Studies.

When we look into its language, we find that the Qur'ān always uses selected words and styles even it is selective in using the prepositions and letters of conjunction.

The following article is a humble effort to study the preposition '*bā*' applied to the verb '*idha'ah*' in the chapter of al-Nisā' (verse no. 83).

The author will be much obliged if any suggession or comment is received on this effort.

ملخص البحث: القرآن الكريم كتاب سماوي نزل من لدن ربّ عليّ حكيم، ونزل بلسان عربيّ مبين. ولمّا اعترض عليه العرب ومن عضّدوهم جهرًا أو إسرارًا تحدّاهم بتقديم كلامٍ مثله، وحين عجزوا عن هذا التقديم تحدّاهم بعرض عشر سور مثله ثم بسورة واحدة كمثله. ولكن العرب وأشياعهم لم يقدروا، ولو حاولوا جهدهم، على أن يقدّموا ما يعادله أو يناصيه في العلم واللغة والتأليف... لا شكّ أنّ هذا التحدّي قائم إلى يومنا هذا ولا ريب أنّ القرآن كتاب سماويّ معجز بيانه.

من ميزات هذا الكتاب الرباني أنّ لغته رائعة للغاية فكلّ مفرداته وتراكيبه وأساليبه وما شابهها على ذروة عنقاء من الاختيار والاصطفاء وعلى جودة المناسبة للمحلّ وسياق الكلام. وبيانُ أسرارها وحِكمَ محتوياتها لن يمكن حدّها في كتاب ولا في موسوعة. في الأسطر التالية نقدّم محاولة متواضعة لبيان سرّ كامن في دخول صلة (الباء) على الفعل (أَذَاعُواْ بِهِ) وفهم دلالتها في هذا الموقع.

الكلمات الدلالية: إعجاز القرآن الكريم، كلام العرب الجاهلي والإسلامي، المعاجم والتفاسير وسرّ بلاغة صلة (الباء) في فعل الإذاعة.

المدخل إلى الموضوع: القرآن الكريم كتاب عربيّ مبين يحتوي على المختار من مفردات العربية وأساليبها وتراكيبها المحكمة، وليس بإمكان أحد أن يقدّم ما تأخر أو يؤخّر ما تقدّم فتبقى تلك الأسرار التي تختفي في بطون هذا الإحكام بل وربما تفقد الآية أو مجموعة من الآيات معانيها ومرادها من هذا التقديم أو التأخير. وهكذا الأمر مع ترتيب السور فتقديمها وتأخيرها وكونها معترضة بين السورتين.

ومن استعمالات القرآن الكريم إدخالُه حروفَ الجر أو الصلات الفعلية وهي أيضًا مما اختارها الخالق العليّ العزيز الحكيم فلو أسقطنا صلة من فعلها أو أضفنا صلة إلى فعلها أو أدخلنا صلة على فعل لم يدخلها عليه لأزلنا ذلك السر الكامن في الترتيب الذي يوجد في هذا الكتاب الجليل. ولم تأت هذه الصلات لمجرد بيان المعنى المراد بل وفي كثير من الأحيان تزيد في موسيقى الكلام أيّما زيادة. فكلمة أو أسلوب يختاره سبحانه وتعالى لا يأتي به لمجرد بيان المراد بل يضيف إليه إيقاعًا يدركه من رُزِقَ ذوقًا سليمًا.

خُذْ، مثلًا، صلةَ (الباء) في قوله تعالى: "إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣". (سورة العصر) فالتواصي يتعدّى بالباء وبدونها كما قال يزيد بن الطثرية:

ألا يا خليلي اللذينِ تواصيا	بي اللومَ إلا أن أطيع وأسمعا[1]

وقال طرفة بن العبد:

أني حمدتُك للعشيرة، إذ	جاءت إليكَ مُرِقّةَ العظمِ
ألقوا إليك بكل أرملة	شعثاءَ، تحملُ مَنقعَ البرْمِ
ففتحتَ بابَك للمكارم، حي	نَ تواصتِ الأبوابُ بالأزمِ[2]

ولكن القرآن فضّل(الباء) على سقوطها، ذلك لأنّ الباء شائعة عندهم، وأنّ موسيقى الكلام تزول إذا سقطت، وأنّه يبدو في الباء شدةٌ لا نجدها في إسقاطها.

في هذا البحث الوجيز سنتاول صلة (الباء) الداخلة على الفعل (أَذَاعُواْ بِهِ) وندرس دلالتها وسرّها وهل أشار إليها المعجميّون أم لا.

صلة الفعل (أَذَاعَ يُذِيْعُ إِذَاعَةً) في المعاجم والتفاسير: عندما نراجع المعاجم الكبرى نجد أنّهم إما ذكروا

[1] شعره، ص 80
[2] ديوانه، ص 79، الأزم: الإغلاق

للفعل (أذَاعَ) صلة أو لم يذكروا فمثلًا لم يُشر إليها الجوهري (1003م) في صحاحه[1] ولا ابن منظور (1311م) في لسانه فقال ابن منظور مثلًا: "أذعتُ الأمرَ وأذعتُ به وأذعتُ السرَّ إذاعة إذا أفشيته وأظهرته"،[2] وذكرها كلٌّ من الزمخشري[3] (1114م) والزبيدي[4] (1790م) والشرتوتي[5] (1912م)، ولكن لم يشر أحد منهم إلى سرّها. وأما الخليل الفراهيدي (786م) فقد اعتبرها من الدخيل فقال: "وأذعتُ به، الباء دخيل، معناه: أذعته".[6] فلم يبيّن سرّها.

ولقد حاول الزمخشري و أبو حيان (1344م) من بين المفسّرين أنْ يبيّنا بلاغة الصلة فقال الزمخشري: "أذاع السرَّ وأذاع به. قال:

أذاع به في الناس حتى كأنه	بعلياء، نار أوقدت بثقوب

ويجوز أن يكون المعنى: فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ من أذاعوه".[7]

وقال أبو حيّان: "الإذاعة: إظهار الشيء و إفشاؤه يقال: ذاع، يذيع، أذاع، ويتعدى بنفسه وبالباء، فيكون إذ ذاك أذَاعَ في معنى الفعل المجرّد. قال أبو الأسود:

أذاع به في الناس حتى كأنه	بعلياء نار أوقدت بثقوب"[8]

فكأنّ الزمخشري جعل الباء مضمّنة (الفعل) أي عاملوا معه معاملة الإذاعة إذ جعلها أبو حيان أيضًا معدّية فجعل الفعل مجرّدًا، ولا فرق بين القولين في المعنى. والصحيح ما سنبيّنه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

دخول هذه الصلة على الفعل (أذَاعَ) وسياقها: الآية التي وردت فيها هذه الصلة جاءت في سورة النساء فقال تعالى:

"وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣". (سورة النساء)

جاءت هذه الآية في مجموعة الآيات (77-85) التي تدلّ على مساوئ المنافقين ودسائسهم وتحذير المسلمين عن وقوعهم في شبكتها فذكر من بين هذه المساوئ والدسائس أنهم لا يريدون أن يخوضوا في الحروب مخافة الموت الذي حتمًا سيبطش بهم أينما كانوا وكيفما كانوا، وكذا ذكر أنهم يظنون أنّ الشرّ أو الخير الذي يلحق النبي ﷺ و أتباعه هو بسبب حسن أو سوء تدبيرهم وليس من الله العزيز الحكيم. والو اقع أنّ ما يلحق النبي ﷺ و أتباعه من

---

[1] الصحاح: ذيع
[2] لسان العرب: ذيع
[3] أساس البلاغة: ذيع
[4] تاج العروس: ذيع
[5] أقرب الموارد: ذيع
[6] كتاب العين: ذيع
[7] تفسير الكشاف، ص 249
[8] البحر المحيط، 723/3

الخير أو الشر هو من الله إلا أنّ الشرّ يترتّب على سوء عمل المرء، وهكذا ذكر أنهم ذووا الثنوية في الأعمال والأفكار فيصوّبونك حينما ير افقونك، ولكن عندما يغادرونك ويخلون لأوليائهم فيقولون ما يرضيهم وبالتالي يفنّدونك أمامهم. ثم ذكر أنهم يذيعون بكل ما يبلغهم من أمور الخوف أو الأمن المتعلقة بالمسلمين ليؤذوهم ويوجّهوا الضرر إليهم. وهذا يكشف عما تطوي صدورهم من عاطفة الإساءة بالنبي ﷺ و أتباعه. وذلك فإن كانوا مخلصين للنبي وأصحابه لما ارتكبوا ذلك بل بلّغوه الرسول ﷺ أو أولياء الأمر من المسلمين لكي يفكّروا فيه ويدبّروا له. وكما أنّ الأمر متعلق بجماعة منهم (المسلمين) فكذلك أنه ذو خطورة ولا ينبغي أن يفشى ويذاع. انتهت هذه المجموعة بأمر النبي ﷺ بأن يحثّ أتباعَه على القتال ضد الكفّار والله من ورائهم وهو ينصرهم وأنْ لا يكترث بالمنافقين فمن أقدم فله أجرُه ومن تخلّف فلا يجزى إلا بما فعل.

فكأنّ الآية التي جاء فيها الفعل (أَذَاعُواْ بِهِ) تكشف القناع عن إحدى دسائس المنافقين الذين لا يألون أيّ جهدٍ لأذى المسلمين بل وحتى يفشون بما هو يجب إخفاؤه وينادون به أمام الناس.

تعدّي الفعل (أذّاعَ): الفعل (أذَاعَ يُذِيْعُ إذَاعَةً) يأتي متعديًا بنفسه وبالباء. وعادة ما يستخدم سلبيًا كما قال عنترة بن شداد العبسي:

فاغتالني سقَمي الذي في باطني	أخفيتُه، فأذاعه الإخفاء[1]

وقال بِشر بن عُلَيق الطائي:

خليليّ عوجا فانظرا اني لعلني	أسائل رسمًا قد عفا وتهدّما
بأوعس من ذات الحجى ما عرفتُه	بُعيد حصاة النفس إلا توهّما
أذاعتْ به الأرواحُ حتى كأنما	حسبتَ بقاياه كتابًا مُنَمْنَمَا
فلم يبقِ منه غيرَ سُفعٍ مو اثلٍ	وأورقَ من طول التقادم أقتما[2]

فأذاع به: نشره، والأرواح هي الرياح.

وقال آخر:

ربعٌ قواء أذاع المعصرات به	وكلُّ حيرانَ سارٍ ماؤه خضل[3]

وقال آخر:

---

[1] شرح ديوانه، ص 21
[2] قصائد جاهلية نادرة، ص 187
[3] تاج العروس: ذيع

أذاع به في الناس حتى كأنه	بعلياء نارٌ أوقدتْ بثَقُوب[1]

وقال صِرمة بن أبي أنس الخزرجي:

وماءٌ هُريقَ في الضلال كأنما	أذاعتْ به ريحُ الصبا والجنائب[2]

أي بدّدته الريح.

وقال آخر:

نوازل أعوامٍ أذاعتْ بخمسة	وتجعلني، إن لم يق الله، ساديا[3]

وقال أبو الأسود الدؤلي:

أمنتُ امرءًا في السرّ لم يك حازمًا	ولكنه في النصح غيرُ مريب
أذاع به في الناس حتى كأنه	بعلياء، نارٌ أقدت بثقوب[4]

فأذاع به أي بالسرّ.

السرّ في دخول هذه الصلة على الفعل (أذَاعَ): بدا من الشواهد المذكورة أعلاه أنّ الإذاعة بالأمر في قوله تعالى تضمينٌ للفوح أي فاح به وأذاعه فالصلة ليست أصلية له كما قال أوس بن ربيعة الأسلمي:

لقد خُلِّفتُ حتى ملّ أهلي	ثوائي فيهم، وسئمتُ عمري
يملُّ من الثواء، وصبحُ يومٍ	يغاديه، وليلٌ بعدُ يسري
فأبلى جدتي وبقيتُ شِلوًا	وباح بما أجِنَّ ضميرُ صدري[5]

وقال الحارث بن كعب: "يا بنيّ قد أتتْ عليّ مائة وستون سنة، ما صافحت يميني يمين غادر، ولا قنعتْ لنفسي بخلة فاجر، ولا صبوت بابنة عمّ ولا كنّة، ولا بحتُ لصديق بسرّ، ولا طرحتُ عن مومسة قناعًا".[6]

وقال أبو ذويب الهذلي:

نُشيبةُ لم توجدْ له الدهرَ سقطةٌ	يبوح بها في ساحة الدار ناطق[1]

وقال العجير السلولي:

---

[1] لسان العرب: ذيع
[2] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 380
[3] لسان العرب: ذيع
[4] تفسير الطبري، 8/568-569
[5] ديوان الشعراء المعمّرين، 305
[6] جمهرة خطب العرب، 49/1. ومن هنا تدرّج البوح لإفشاء كلّ ما يجب إخفاؤه لسبب أو آخر فقال بكر بن النطاح:

كم حاجةٍ في الكتاب بُحتُ بها	أبكيتُ منها القرطاسَ والقلما

شعره، ص 38

ولو كنتُ في غلٍّ فبحتُ بلوعتي	إليه للانتْ لي ورقّتْ سلاسلُه[2]

وإليه ذهب ابن عباس ﷺ فقال: "أفشوه وسعوا به".[3]

الأفعال التي تضمّن الفوح تتعدّى بالباء: وليس هذا فحسب بل نرى أنّ الأفعال التي تضمّن الفوحَ تعني الفوحَ به فالإذاعةَ، تأتي بصلة (الباء) فقال عروة بن أذينة:

من ضيّع السرَّيومًا أو أشاد به	فقد منعتُ من الواشين أسراري[4]

وقال الطرماح:

جرى صبَبًا أدّى الأمانةَ بعدما	أشاع بلوماه عليّ مُشيع[5]

وقال أبي حية النميري:

أصدّ وما الصدّ الذي تعلمينه	عزاءً بكم، إلا اجتماع العلاقم
حياءً وبقيا أن تشيع نميمةٌ	بنا وبكم إلا ابتلاع العلاقم[6]

وقال عمرو بن حُمَمَة الدوسي:

أخبّر أخبار القرون التي مضتْ	ولا بدّ يومًا أنْ يُطار بمصرعي[7]

و أنشد ثعلب:

حتى يشكّ وشاةٌ قد رموك بنا	وأعلنوا بك فينا أيّ إعلان[8]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ليالي تجري بأسرارنا	أمينٌ لنا ليس يُفشي بسر[9]

وقال عروة بن حُزام:

فوالله ما حدّثتُ سرَّك صاحبًا	أخًا لي ولا فاهتْ به الشفتان[10]

---

[1] ديوانه، ص 183
[2] مجلة المورد، 238/1/8
[3] تفسير الطبري، 570/8
[4] شعره، ص 196
[5] تاج العروس: شيع
[6] مجلة المورد، 142/1/4
[7] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 476
[8] لسان العرب: علن
[9] ديوانه، ص 299
[10] ديوانه، ص 47

وقال قيس بن الحطيم:

فلا تمذل بسرّك، كلُّ سرٍ	إذا ما جاوز الاثنين واشي[1]

وقال الشاعر:

غرّاء بلهاء لا يشقى الضجيعُ بها	ولا تنادي بما توشي وتستمع[2]

وقال علي بن أبي طالب ﷺ:

والسرَّ فاكتمه ولا تنطق به	فهو الأسير لديك إذ لا يُنشَب[3]

فالإشادة أو الإشاعة أو الإطارة أو الإعلان أو الإفشاء أو الفوه أو المذل أو النداء أو النطق صلتها ليست الباء، و إنما دخلت عليها لتدلّ على الفوح جنبًا بجنب الإشاعة.

ملخص القول: ظهر من البحث الوجيز الذي قدّمناه والشواهد التي سردناها أنّ القرآن الكريم يصطفي من المفردات والتراكيب والأساليب ما تكون مبينة وتبلغ ذروة فصاحتها. وليس هذا في أمر المفردات والتراكيب والأساليب فحسب بل نجده يختار من حروف الجر أو صلات الأفعال ما تناسب المحل والسياق. ومثّلنا صلة (الباء) الداخلة على الفعل (أذَاعَ) وأرينا دلالتها وسرّ بلاغتها وأنّ الأفعال التي تشابهها في المعنى تأتي بنفس الصلة.

ونحمد الله سبحانه وتعالى على أنه وفّقنا لخدمة كتابه وبيان سرّ من أسرار بلاغته.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أساس البلاغة لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م
3. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد للعلامة سعيد الخوري الشرتوتي، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، 1374هـ
4. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م
5. تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965م

---

[1] ديوانه، ص 79

[2] لسان العرب: ندى، ويعزى إلى عمرو بن الأطنابة الخزرجي:

إذا ما مشتْ نادى بما في ثيابها	ذكيُّ الشذا والمندليُّ المُطيَّر

مجلة المورد، 101/2/14

[3] ديوانه، ص 28

6. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.
7. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1933م
8. ديوان أبي الأسود الدُؤلي، صنعة: أبي سعيد الحسن السكّري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، ط2، 1998م
9. ديوان أبي ذويب الهذلي، تحقيق وشرح: د. أنطونيوس بطرس، دار صادر، بيروت، ط1، 2003م
10. ديوان الشعراء المعمّرين، للدكتورة شمس الإسلام أحمد حالو، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2010م
11. ديوان الطرماح، د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م
12. ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط1، 1988م
13. ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م
14. ديوان عروة بن حُزام، جمع وتحقيق وشرح: أنطون محسن القوّال، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م
15. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
16. ديوان قيس بن الحطيم، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1962م
17. شرح ديوان عنترة بن شداد العبسي، للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م
18. شعر بكر بن النطاح، صنعة حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف، بغداد، 1975م
19. شعر عروة بن أذينة، تحقيق: د. يحيى الجبوي، دار القلم، الكويت، ط2، 1981م
20. شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، جمع وتنسيق: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1985م
21. شعر يزيد بن الطثرية، صنعة حاتم صالح الضامن، مطبعة أسعد، بغداد، د.ت.
22. الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984م
23. قصائد جاهلية نادرة، د. يحيى الجبوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988م
24. كتاب العين للخليل الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م
25. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
26. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.
27. مجلة المورد الفصلية الصادرة عن وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ للنشر، العراق